

الدرس السابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له في رسالته «نواقض الإسلام»:

السَّادِسُ: مَنْ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ ثَوَابِ اللَّهِ، أَوْ عِقَابِهِ كَفَرَ. وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿[التوبة: ٦٥-٦٦] .

هذا الناقض السادس من نواقض الإسلام وهو: «مَنْ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ، أَوْ ثَوَابِهِ، أَوْ عِقَابِهِ كَفَرَ»؛ الاستهزاء هو: السُّخْرِيَّةُ والتَّهْكُمُ، وهو نوعٌ من المعارضة وعدم التسليم. ومن المعلوم أن الإسلام استسلامٌ ومُوافقةٌ، وانقيادٌ وطواعيةٌ. الاستسلام هو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة والخُلُوصُ مِنَ الشَّرِكِ. فالإسلام مُوافقةٌ، والاستهزاء معارضةٌ ومخالفةٌ. ولهذا كان المستهزئ بالدين أو بالثواب الذي أعدّه الله سبحانه أو بالعقاب معارضاً وليس بموافق، وهذا مُصادِمٌ تامٌّ المصادمة لدين الله جلّ وعلا؛ فمن فعل ذلك انتقل من المِلَّةِ وكان من الكافرين؛ لأن الإسلام مُوافقةٌ، والاستهزاء مُعارضةٌ. المسلم موافقٌ مُعْظَمٌ مُتَّبِعٌ مُنْقَادٌ، والمستَهْزِئُ مُعَارِضٌ لدين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولهذا كان الدين مَوْضِعَ اسْتِهْزَاءٍ عِنْدَهُ وَسُخْرِيَّةٍ، ولهذا يكون المستهزئ كافراً بدين الإسلام، وليس من المسلمين، ولا يُمكنُ أَنْ يَقُومَ اسْتِهْزَاءُ بِالَّذِينَ مِنْ يُعْظَمُ دِينُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَقْدُرُ شَرْعُهُ حَقٌّ قَدْرُهُ؛ بل لا يكون الاستهزاء إلا مِنْ مُعَارِضٍ لهذا الدين مُنَاوِيٍّ لَهُ مُعَادٍ.

قال: «مَنْ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، أي: مَنْ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِمَّا أَمَرَ بِهِ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَوْ نَهَى عَنْهُ، وَالَّذِينَ أَوْامَرَ وَنَاهَى؛ فمن استهزأ بشيء من الأوامر أو استهزأ بشيء من النواهي كَفَرَ، كمن يستهزئ مثلاً بالصَّلَاةِ، أو يستهزئ بالصِّيَامِ، أو يستهزئ بالحج، أو يستهزئ بالزَّكَاةِ والصَّلَاةِ والإحسان، أو يستهزئ بالسُّنَنِ التي دعا إليها صلوات الله وسلامه عليه، أو يستهزئ بنهي النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنِ الرِّبَا مثلاً، أو عَنِ الزِّنَا، أو عَنِ السَّرِقَةِ، أو عَنِ الْقَتْلِ، أو نحو ذلك. فمن استهزأ بشيء مما جاء به الرسول بدين الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فهو كافر.

وكذلك من استهزأ بثواب الدين أو العقاب، بثواب المواقف وعقاب المخالف، من استهزأ بذلك كَفَرَ؛ كمن يستهزئ مثلاً بالجنة، أو بشيء من نعيمها، وما أعدّه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الثَّوَابِ، فَمَنْ اسْتَهْزَأَ بِالْجَنَّةِ أَوْ بِشَيْءٍ مِنَ النِّعَمِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْجَنَّةِ كَفَرَ. وكذلك من استهزأ بثواب الأعمال، يَجِدُ فِي

أحاديث كثيرة كذا: "من فعل كذا عُفِرَ له" ، من فعل كذا فله كذا ، مَنْ استهزأ بشيءٍ مِنْ ثواب الأعمال -ولو في حديث واحد- كفر؛ لأن الاستهزاء معارضةٌ لدين الله، وعدم موافقةٍ واستسلامٍ لشرع الله عز وجل، وهو منافٍ لشهادة «أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» كل المنافاة.

وكذلك من استهزأ بالعقاب؛ كأن يستهزئ بالنار، أو يستهزئ بشيء مما أعدّه الله سُبحانَهُ وتعالى لأهل النار من عذابٍ وعقوبة، أو استهزأ بشيء من العقوبات: "لا يقبل الله له عمل" ، أو: "لا يدخل الجنة" ، أو: "لا يجد ريحها" ، أو: "ليس مِنّا" ، أو نحو ذلك، فمن استهزأ بشيء من الثواب أو استهزأ بشيء من العقاب فقد كفر؛ وذلك أَنَّ المستهزئ غير مُحَقِّقٍ للاستسلام والموافقة لشرع الله جلّ وعلا والانقياد والطوعية والامتثال؛ بل هو معارضٌ ساخرٌ مُتَهَكِّمٌ غيرُ مُعْظِمٍ لشرع الله عز وجل ، لم يُقدِّرْ دينَ الله جلّ وعلا حقَّ قدره؛ فيكونُ بذلك من الكافرين . فالاستهزاء كُفْرٌ أَكْبَرُ ناقلٌ من مِلَّةِ الإسلام.

قال رحمه الله: «وَالدَّلِيلُ» أي: على ذلك «قَوْلُ اللَّهِ سُبحانَهُ وتعالى: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]»؛ ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ﴾ الاستهزاء بالله أي بعظمته أو جلاله أو كماله أو أسمائه وصفاته جلّ وعلا كُفْرٌ ناقلٌ من مِلَّةِ الإسلام، وتوحيدُ الله جلّ وعلا قائمٌ على تعظيمه، والمستهزئ ليس مُعْظِماً لله، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال الله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] أي: عَظَمَةً وَتَعْظِيمًا لله عز وجل ؛ فالذي يستهزئ بالله أو بشيء من أسمائه أو بصفاته هذا كافرٌ بالله العظيم كُفْرًا أكبر ناقلٌ من مِلَّةِ الإسلام، ولو صلى وصام لا يقبل الله منه صلاةً ولا صيامًا.

وكذلك المستهزئ بآيات الله ، والمراد بآياته أي المثلوة، أي: كلامه سُبحانَهُ وتعالى؛ فمن استهزأ بالقرآن أو بشيء من سُورِهِ أو بشيء من آياته -ولو آيةً واحدةً قُرِئَتْ له أو قرأها فاستهزأ وسخر- فإنه يَكْفُرُ بذلك؛ لأنّ هذا الاستهزاء قائمٌ على غير تعظيم الله وتعظيم كلامه سُبحانَهُ وتعالى.

وكذلك مَنْ استهزأ بالرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ استهزأ به أو بشيء من أوصافه وأخلاقه وأعماله وآدابه وشمائله صلوات الله وسلامُهُ عليه، أو استهزأ بشيء مما جاء به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه يكفر بذلك.

قال الله: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ وهذه الآية نَزَلَتْ -كما جاء في كتب التفسير ومنها تفسير ابن جرير الطبري رحمه الله من طرق- نزلت في نَقَرٍ في غزوة تبوك استهزأوا بالنبي الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وبِقُرَاءِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم وأرضاهم، استهزؤوا بهم وقال أحدهم مستهزئًا ساخرًا: "ما رأينا مثلَ قُرَائِنَا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجَبَّ عند اللقاء" ، هكذا قال، وهذه كلمات استهزاء وتهكُّم وسخرية بالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وبِقراءة الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم.

قال: "ما رأينا مثلاً قُرَّائنا هؤلاء"؛ «قُرَّائنا» يقصد نحن المسلمين، (ما رأينا مثلاً قُرَّائنا) يعني: نحن المسلمين.

"مثلاً قُرَّائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء"؛ (أرغب بطوناً) أي: ليس لهم هم إلا الأكل، يتهمهم بهم ويسخر ويصفهم بأنهم لا هم لهم إلا الأكل. وأنهم أهل جبن؛ (وأكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء): أنهم أهل كذب، وأنهم أهل جبن وخوف. فوصفهم بهذه الصفات، والحق أن هذه صفات المنافقين، وليست صفات أصحاب النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وحاشاهم، وبرأهم الله عز وجل، فهذه ليست صفاتهم. وقول القائل لذلك هو في الحقيقة من باب: رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَأَنْسَلْتُ، هذه ليست صفة الصحابة.

والمستهزئ يستهزئ بالناس، وفي الغالب أن تلك الصفات تكون له، أو يكون مبتلى بها، لكنه يسخر بأهل الفضل وأهل الثبُل وأهل المكانة، وَيَتَهَكَّمُ بِهِمْ ويتندر، فقالوا هذه المقالة: «ما رأينا مثلاً قُرَّائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء».

فسمعه عوف بن مالك رضي الله عنه فقال: «كَذَبْتَ، لَأُخْبِرَنَّ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، وانطلق عوف رضي الله عنه لِيُبْلِغَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ويستفاد من هذا: أن إبلاغ ولي الأمر بمثل هذا العدوان ومثل هذا الظلم والبغي والتهم بالدين أو بأهله أو بالرسول عليه الصلاة والسلام من المطالب، من الأمور المطلوبة، وهو داخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال: «كَذَبْتَ، لَأُخْبِرَنَّ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وانطلق عوف رضي الله عنه لِيُخْبِرَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فوجد أن الوحي سَبَقَهُ، ونزل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَلِلَّهِ آيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ. وقد أخذ جماعة من أهل العلم من قوله: ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أن قائل هذه المقالة كانوا مسلمين، وأنهم بهذه الكلمة كفروا، وارتدوا عن دين الله سبحانه وتعالى، وكانت كلمتهم هذه ناقلة لهم من الملة، قال: ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، قَدْ كَفَرْتُمْ: أي بهذا الاستهزاء، بَعْدَ إِيمَانِكُمْ: أي بعد أن كنتم من أهل الإيمان، كَفَرْتُمْ: أي انتقلتم من الملة.

وفي هذا حُطُورَةُ اللِّسَانِ الْبَالِغَةِ، وأن الإنسان قد يقول بلسانه كلمة واحدة تُوبِقُ دُنياه وأُخرَاه، تُهلكه في الدنيا والآخرة، وَيَكْبُتُ بها في نار جهنم خالداً فيها أَبَدَ الْآبَادِ. فهذا فيه خطورة اللسان، وأن الكلمة التي تخرج من اللسان ليست بالهينة. ولهذا؛ قال عليه الصلاة والسلام: ((وَهَلْ يَكْبُتُ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))؛ فالكلمة التي تخرج من اللسان أخطر ما تكون، ولهذا كان لزاماً على العبد ومتأكداً عليه أن يَحْفَظَ لِسَانَهُ وَأَنْ يَصُونَهُ، وَأَنْ لَا يَتَكَلَّمَ بِلِسَانِهِ بِكَلِمَةٍ إِلَّا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا خَيْرٌ، ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ))، فلا يتكلم بكلمة إلا وهو يَعْلَمُ أَنَّهَا خَيْرٌ، أما إذا كانت الكلمة شراً، فلا يجوز أن يتكلم بها، قد يتكلم بها وتُوبِقُهُ، يقول الرجل الكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار سبعين

خريفًا كما قال ذلك رسول الله ﷺ. قال: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ وَالْآخِرِ فَلْيُفْلِحْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ)) ، أي: إذا كان الذي سيقوله تأكّد أنه خير قاله، وإلا فليصمّ.

وما ينوي أو يريد الإنسان التحدّث به لا يخلو من حالاتٍ ثلاثٍ في رؤية الإنسان له قبل التحدّث به:

١. إما أن يرى أنه خير واضح؛ فهذا يتكلّم به، ولا حرَج عليه.

٢. أو يرى أنه شرٌّ واضح؛ فهذا يجب عليه أن يمنع لسانه منه، وأن يصمّ لسانه من التكلّم بالشرِّ.

٣. وإما أن تشبّه عليه الكلمة؛ يريد أن يقول كلمةً لكن اشتبهت عليه، لا يدري هي خير أو شر، الواجب عليه أيضًا في هذا الصنف أن يمنع نفسه من قوله ، قد قال عليه الصلّاة والسّلام: ((فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ؛ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ)) ، والحديث قوله: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ وَالْآخِرِ فَلْيُفْلِحْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)) دليل على ذلك، دليل على أنّ الإنسان لا يتكلّم إلا بخير واضح، أما إذا كان ما سيقوله شرٌّ أو تردد هل هو شر أو خير فلا يقوله، لا يقول إلا الخير الواضح. قال: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ وَالْآخِرِ فَلْيُفْلِحْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ))

الشّاهد أن هؤلاء قالوا كلمةً -وهي قولهم: "ما رأينا مثلَ قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء" - فخرجوا بها من ملّة الإسلام، ونزل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لا تعتذروا قد كُفرتُم بعد إيمانكم؛ جاء الرجل الذي قال هذه المقالة إلى النّبي عليه الصلّاة والسّلام ليعتذر، وأمسك بنسجِ ناقة النّبي عليه الصلّاة والسّلام، والنّبي صلّى الله عليه وسلّم راكبٌ على الناقة، وأخذ يعتذر من الرسول عليه الصلّاة والسّلام يقول: إنّما كنّا نخوض ونلعب ، أردنا أن نقطع عناء الطريق أي: تعب السّفَر، السّفَر يحدث فيه مللٌ؛ فنريد أن نمضي السّفَر والوقت، ليس قصّصنا ذات الاستهزاء وذات السّخرية؛ وإنّما أردنا التّسلية في الطريق وتمضية الوقت، ما أردنا حقيقة الاستهزاء. قال: إنّما كنّا نخوض ونلعب يعني: قلنا هذا الكلام من باب الخوض واللّعب، وتمضية الوقت، لم نقصد حقيقة الاستهزاء؛ إنّما كنّا نخوض ونلعب . فما كان النّبي عليه الصلّاة والسّلام يزيد على: ﴿قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لا تعتذروا قد كُفرتُم بعد إيمانكم، والرجل يعيد، والصّخر ينكب قدمه، وهو يمشي إلى جنب النّبي صلّى الله عليه وسلّم ممسكًا بنسجِ النّاقة، يقول: يا رسول الله، إنّما كنّا نخوض ونلعب، إنّما أردنا قطع عناء الطريق. فما كان عليه الصلّاة والسّلام يلتفت إليه، وما كان عليه الصلّاة والسّلام يزيد على: ﴿قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لا تعتذروا قد كُفرتُم بعد إيمانكم.

فلاستهزاء بالله، أو بالرسول، أو بدين الله جلّ وعلا، أو بشيء من الدّين، أو بالقرآن، أو بشيء من آيات القرآن، أو بشيء من أحاديث الرّسول عليه الصلّاة والسّلام؛ يُذكر للإنسان مثلاً حديثٌ فيسخر ويستهزئ

بحديث الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هَذَا كُلُّهُ كُفْرٌ نَاقِلٌ مِنَ الْمِلَّةِ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾
أَي: بِهَذَا الِاسْتِهْزَاءِ، وَبِهَذِهِ السَّخَرِيَّةِ بِدِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .
وَكَمَا عَرَفْنَا بَدْءًا أَنَّ السَّخَرِيَّةَ قَائِمَةٌ عَلَى الْمَعَارِضَةِ لِلدِّينِ، وَالْإِسْلَامِ قَائِمٌ عَلَى الْمَوَافَقَةِ وَالِاسْتِسْلَامِ وَالطَّوَاعِيَّةِ
وَالِامْتِثَالِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.